فتح الكريم

ببيان حال العبد

مع القرين

للشيخ الفاضل أبي محمد

عبد الحميد بن يحيى الحجوري الزعكري حفظه الله

فتح الكريم ببيان حال العبد مع القرين

بسم الله و الحمد الله و الصلاة و السلام على رسول الله صلوات ربي و سلامه عليه و على اله و صحبه أجميعن أما بعد : فهذا تفريغ لخطبة شيخنا أبو محمد عبد الحميد الحجوري الزعكري التي كانت بعنوان : حال القرين مع قرينه في الأخرة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه و نستغفره و نعوذ بالله من شرور أنفسنا و من سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له و من يضلل فلا هادي له و أشهد ان لا إله الا الله وحده لا شريك له و أشهد أن محمد عبده ورسوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا(٧١) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾

أما بعد : فإن خير الحديث كتاب الله و خير الهدى هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم و شر الأمور محدثاتها و كل محدثة بدعة و كل بدعة ضلالة ﴿وَإِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ ۖ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴾ عباد الله إن هذه الحياة التي هي ممر إلى الدار الأخرة جعلها الله عز و جل كالزاد و جعلها الله عز و جل كالمرقاة إلى تلك الحياة الطويلة و كانت هذه حياة بما فيها من الطاعات أو المعاصي من المجالسات أو المهاجرات ظاهرة

في تلك الحياة الأخرة فمن كان مطيعا لله عز و جل فهو صاحب الفوز العظيم كما قال الله عز و جل ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ و هذا الفوز في جميع شؤون الحياة الأخروية بل و الدنيوية فصاحب طاعة الله و صاحب طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم مرفوع عند الله و محبوب عند الله ثم عند ملائكته ثم عند الصالحين من خلقه ثم يوضع له القبول في الأرض بينما صاحب معصية الله عز وجل عليه من الذُلة بقدر ما عنده من المعصية ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ (٢٠) كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ۚ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾

فيا أيها المسلمون علينا أن ننظر بعين البصيرة و التأمل إلى ما نحن فيه من الحياة و ما سيكون المآل بعد الموت فقد قص الله عز و جل علينا أحوالا تبين ما عليه الناس بعد موتهم ومن ذلك قول الله عز و جل﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ(٣٥) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ(٣٦) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ(٣٧) لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ يا ترى ما الذي يجعل الإنسان يفر من أحب الناس إليه؟ إن الإنسان إذا أصابه ضرر في الدنيا لجئ إلى الأخ و إلى الأم و إلى الأب و إلى الزوجة يشكو عليهم ما أصابه و يأنسونه و ربما أعانوه وفي ذلك اليوم يقع الفرار يفر بعضهم من بعض نسأل الله السلامة إن سبب الفرار هو ما

كان عليه الإنسان من معصية الله عز و جل و الإعراض عنه قال الله عز و جل ﴿ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ(٢٨) قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ(٢٩) مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ هذا قرينه الذي كان لا يخالفه قرينه الجني كان لا يفارقه و يؤزه على المعاصي أزى و يحببها إليه و مع ذلك في ذلك اليوم يتبرأ منه فيقول ﴿مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴾و مع ذلك لا ينفع الإعتذار سواء للقرين أو المقارن فكلاهما مأخذ بذنبه كما قال الله عز و جل ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ ۖ ﴾ و قال الله عز و جل ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ(٢٨) قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ(٢٩) قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ(٣٠) وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ ۖ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ(٣١) فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا ۖ إِنَّا لَذَائِقُونَ(٣٢) فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ(٣٣) فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ(٣٤) إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ(٣٥) إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ(٣٦) وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ(٣٧) بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ(٣٨) إِنَّكُمْ لَذَائِقُو الْعَذَابِ الْأَلِيمِ(٣٩) وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ وهذا موضع أخر يذكر الله عز و جل ما تجري فيه من المحاورة بين أصحاب الشمال فيقول الذين كانوا يدعونهم إلى الباطل ما كان لنا عليكم من سلطان بل أنتم أصحاب الضلال و أنتم الذين إنقدتم لنا و إستسلمتم لنا كما قال الله عز و جل ﴿يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ(٣٢) قَالَ

الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ(٣٣) وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ براءات

و مجادلات لكنها لا تجدي لان المقارنة في الدنيا كانت على غير طاعة الله عز و جل فكان الجزاء التبرء و التباعد في ذلك اليوم قال الله عز و جل ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ الأخلاء الأصحاب في هذه الدنيا أعداء إذا كانوا عند ربهم لأن صحبتهم لم تكن لله و لم تكن على شريعة الله و إنما كانت صحبتهم على معصية الله فكانت البراءة بعد ذلك بينما أصاحب اليمين صحبتهم في الدنيا و أخوتهم في الدينا كما أن صحبتهم في الأخرة و أخوتهم في الأخرة كما قال الله عز و ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ(٥١) قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ(٥٢) يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ(٥٣) أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ(٥٤) قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ(٥٥) فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ(٥٦) قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ(٥٧) وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾

أنظر الى رحمة الله للمؤمن الطائع و كيف يتحاور المؤمن الطائع من غيره من المؤمنين و يخبرهم أن كان له صاحب في الدنيا و لكنه كان يدله على طريق معوج و يشككه في

اليوم الأخر و لكن لم يسمع له و لم يأبه لكلامه فنجا الله عز و جل المؤمن و أركس الله عز و جل الكافر

فيا أيها المسلمون يجب أن تكون صداقاتنا لله و مجالساتنا لله و إخوتنا لله فإننا في زمن قال عنه النبي صلى الله عليه وسلم«إن أحساب أهل الدنيا الذي يذهبون إليه المال » أخرجه أحمد والنسائي من حديث بريدة وحسنه الألباني .سواء كان ذلك في زواجاتهم أو في معاشراتهم او في أسفارهم أو في غير ذلك فلتكن مجالستنا لله

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنَّ من عبادِ اللهِ عبادًا ليسوا بأنبياءَ يَغبطُهم الأنبياءُ والشهداءُ قيل : من هم ؟ لعلنا نُحبُّهم قال : هم قومٌ تحابُّوا بنورِ اللهِ من غيرِ أرحامٍ ولا أنسابٍ وجوهُهم نورٌ على منابرَ من نورٍ، لا يخافون إذا خاف الناسُ، ولا يحزنون إن حزن الناسُ ثم قرأ : ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ .

أخرجه أبو يعلى وهو في الصحيح المسند – ١٤٥٣

من الذي جعلهم على هذا الأمر ؟

الذي جعلهم على هذا الأمر أنهم كانوا طائعين لله عز و جل في الدنيا فإستحقوا من الله الأمن يوم القيامة ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾و الحمد الله.

الحمدالله حمدا كثيراً طيباً مباركاً فيه و أشهد أن الله لا إله إلا الله العالم بالسر و ما أخفيه و أشهد أن محمد عبده و رسوله صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا أما بعد :

عباد الله إن هذه الحياة و ما فيها من مرور الليالي و الأيام و تعاقب الشهور و الأعوام لهي ممر إلى تلك الحياة التي هي يوم واحد خالد من كان في نعيم في الجنة فهو خالد فيها أبدا كما قال الله عز و جل :﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ﴾ و من كان كافر مجرما ظالما كان في النار كما قال الله عز و جل:﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ﴾و كما قال الله عز و جل ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾و كما قال الله عز و جل ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ ۖ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ نعم هذا في الجنة ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ ۖ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾و في النار ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ(٣٧) وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾ عباد الله فلتكن هذه الحياة على وفق شرع الله فإننا إذا سيرنا فيها على ذلك فالنبشر بالخير العظيم ومن شرع الله عز و جل أن نعبده بالخوف و الرجاء فكلما عبدت الله عز و جل بالخوف كان حاجز بينك و بين المعاصي و كلما عبدته بالرجاء رجوت رحمته و لم تقع في القنوط قال الله عز و جل ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ(٤٧) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ فأخبر الله عز وجل أن الجنة جنتان كما

قال النبي صلى الله عليه وسلم «**جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبر على وجهه في جنة عدن**» فخف الله يا عبد الله و ارجو الله يا عبد الله ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ أما رجاء بدون عمل صالح فهو دين المرجئة الذين ربما تركوا الصلاة و الصيام و الحج و القيام ثم يستدلون بمثل قول الله عز و جل ﴿و اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ نعم إن ربنا غفور رحيم و لكنه مع ذلك﴿ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ فرحمة الله عز و جل قريب من المحسنين فكن محسننا و كن مستجيبا لله عز و جل قبل أن يفوت الأوان ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ١٠٠) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ إنه يطلب الرجوع إلى الدنيا هل لمجالسة أصحابه ؟ أو للعودة إلى أزواجه ؟ أو لبناء مستقبل أبنائه ؟ أم للعمل الصالح الذي يقربه من ربه ؟ إذا لماذا تتأخر ؟ حتى تتمنى ما تتمناه و لا تعود إليه اعمل من الآن أخي المسلم و جالس من ترجى من مجالسته الخير و خالط من ترجى من مخالطته الخير فإننا في دنيا عمل و لا حساب و سيأتي علينا حساب و لا عمل أسأل الله عز و جل أن يغفر لنا و إياكم الزلل و أن يتجاوز عنا و يغفر لنا ولوالدينا و للمؤمين

و الحمد الله رب العالمين . الحمد تم التفريغ اليوم ٢٢ شعبان ١٤٣٨ هـ